

باب الشفاعة

❁ قال المؤلف رحمه الله: باب الشفاعة^(١). [٢]

[شرح ٢] قال المؤلف رحمه الله: (باب الشفاعة) هذه الشفاعة أقسام، وأراد المؤلف رحمه الله هنا باب بيان الشفاعة المنفية والمثبتة؛ حتى يعرف المؤمن هذه وهذه، وقد تعلق كثير من عباد القبور بالشفاعة، وزعموا أن دعاءهم للأولياء والصالحين، واستغاثتهم بهم، والوقوف على قبورهم من أجل الشفاعة؛ فأراد المؤلف أن يبين أن هذه الشفاعة التي يريدونها في الحقيقة إنما سعوا إليها بضدها؛ سعوا إليها بالأسباب التي تبطلها وتضاد حصولها لهم، فالشفاعة المراد بها هنا شفاعة الأنبياء والصالحين والأفراد وغيرهم للمشفوع فيهم رجلاً أو امرأة.

وهذه الشفاعة قسمان:

قسم ثابت للنبي ﷺ ولغيره من الناس، وقسم منفي، والدليل =

(١) ص ٢٧٥.

= على هذا ما ذكره المؤلف من الآيات: قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١] فهذه الآية فيها نفي الشفاعة، وأنه ليس هناك ولي ولا شفيع كي ينصرهم من عذاب الله ويحيرهم منه.

هناك أولياء لله ولكنهم لا ينصرون عباد غير الله، ولا ينصرون العاصي فيجيرونه من عذاب الله؛ فكل مشغول بنفسه، ليس لهم قدرة أن ينجدوا أحداً ولا أن يشفعوا لأحد إلا بإذن الله ﷻ.

فالمراد بالشفاعة المنفية هنا: الشفاعة التي يظنها المشركون ولم تحصل لهم من الأنبياء والصالحين بغير إذن الله وبغير رضاه ﷻ، هذه باطلة فلا شفاعة إلا بإذن الله، ولا شفاعة إلا برضاه؛ ولهذا قال: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ يعني: ولياً ينقذهم من عذاب الله أو يشفع لهم، فليس لهم هذا، وإنما يحسن ذلك لمن أذن الله له ونزه قوله وعمله ﷻ؛ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].
فهذه في إثبات الشفاعة وأنها حق ولكنها لله لا لغيره هو =

= الذي يتصرف فيها ﷻ، فيأذن لمن يشاء ويمنع من يشاء.

قال ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]
 قال ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] قال ﷻ:
 ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ
 اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضَى﴾ [النجم: ٢٦].

ففي هذه الآيات بين أن الشفاعة ثابتة وأنه ملكه، وأنه لا يشفع أحدهم إلا بإذنه، وأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، وأنهم لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، ففي هذا إثبات الشفاعة بشروطها فالشفاعة الشرعية حق، لكنها بشروطها المتمثلة بشرطين:

أحدهما: إذن الله للشافع.

والثاني: رضاه عن المشفوع فيه.

وبين النبي ﷺ وبين الله في كتابه أيضاً أن الكفار ليسوا مرضيين فلا تكون لهم الشفاعة قال ﷻ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ =

= غِنِي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴿٧﴾
 [الزمر: ٧]؛ ولأنه لا يجب الفساد بشيء.

وقال النبي ﷺ لما قيل له: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال:
 «من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»^(١) وقال في
 «الصحيح» أيضاً من حديث أنس: «إن لكل نبي دعوة مستجابة،
 وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، فهي نائلة إن شاء الله لمن مات
 من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»^(٢) بشرط النبي ﷺ في ذلك أن يكون
 من أهل التوحيد لا من أهل الشرك، فعلم بذلك أن المرضي هو
 صاحب التوحيد لا صاحب الشرك.

فهذا يدل على أن هؤلاء الذين طلبوا الشفاعة من طريق دعاء
 الأموات والاستغاثة بهم والنذر لهم قد طلبوها بالسبيل الذي
 يمنعها، وبالوسيلة التي تمنعها في حقهم وهو الشرك، وبذلك يعلم =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري: الدعوات (٦٣٠٤)، ومسلم: الإيمان (١٩٩).

= أن الشفاعة المنفية هي المطلوبة في غير الله، أو المطلوبة بغير إذنه ﷺ، أو بغير رضاه جل وعلا، هذه الشفاعة التي يظنها المشركون تحصل من غير إذن الله، أو من غير رضاه، أو تحصل من طريق الأولياء، أو الصالحين والملائكة، فهذا كله باطل إلا بإذنه ورضاه ﷺ.

وهو يدل أيضاً على أن الشفاعة الثابتة هي التي تكون بإذنه ورضاه، فهذه شفاعة ثابتة وهي الشفاعة التي بينها الله في كتابه وبينها الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي أنواع:

النوع الأول: الشفاعة العظمى يوم القيامة، وهي خاصة بالنبي ﷺ؛ فيشفع لأهل الموقف حتى يقضى بينهم، بعدما يأذن الله له في ذلك.

النوع الثاني: الشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهذا خاص به ﷺ فيشفع فيهم حتى يدخلوها بعد إذن الله ﷻ.

النوع الثالث: خاص بالنبي ﷺ وهو الشفاعة في أبي طالب بالتخفيف عنه.

=

= وهناك شفاعة أخرى وهي شفاعة من دخل الجنة أن يزداد ثوابه، هذه عامة، كذلك من دخل النار من أهل التوحيد أن يخرج منها، ومن لم يدخلها إلا يدخلها من أهل التوحيد؛ هذه عامة للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والمؤمنين، والأفراد والملائكة، وهذه الشفاعة حق؛ لكن بعد إذن الله ورضاه في أهل المعاصي.

وقد أتت النصوص المتواترة أن بعض أهل المعاصي يدخلون النار، وأنه يشفع نيهم فيهم أربع شفاعات، حتى يخرجوا من النار؛ ويشفع الملائكة ويشفع المؤمنون وتشفع الأفراد، ثم يبقى بقية في النار من أهل التوحيد يخرجهم الله سبحانه وتعالى منها، هذا بفضل وجوده جل وعلا.

والخلاصة أن الشفاعة قسمان:

القسم الأول: قسم باطل: وهو الذي يطلب من غير الله أو يظن أنه يحصل بغير إذنه وبغير رضاه، وهذا باطل.

= القسم الثاني: ثابت: وهو أنواع:

= منها: الشفاعة العظمى كما سلف، وهي للنبي ﷺ خاصة، يشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم.

ومنها: الشفاعة لأهل الجنة حتى يدخلوها، وهاتان خاصتان بالنبي ﷺ.

ومنها شفاعة ثالثة: وهي الشفاعة في أبي طالب أن يخفف عنه؛ لما حصل من نصره للنبي ﷺ وتأييده له، وحمايته له، وقد وقع هذا فقد أخبر به النبي ﷺ أنه شفع فيه عليه الصلاة والسلام.

وهناك أنواع أخرى منها: شفاعة في أهل النار أن يخرجوا منها، ومن يقترب المعاصي أن لا يدخلها.

وشفاعة في زيادة الثواب ورفع الدرجات، وهذه ليست خاصة بالنبي ﷺ؛ بل هي مشتركة بين الأنبياء والمؤمنين والملائكة والأفراد، الكل يحصل له ما أراد الله من الشفاعة ﷻ.

ولكنها لا تحصل إلا لأهل المعاصي فقط، لا تحصل للكفار؛
نهم لا حظ لهم في الشفاعة، قال جل وعلا: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ﴾ =

= الشَّفِيعِينَ ﴿ [المدثر: ٤٨] وقال: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] الظالمين يعني: المشركين فليس لهم شفاعاة.

فالشفاعة خاصة بأهل التوحيد أبدأ، بإجماع أهل العلم، وبالنص القرآني ونصوص السنة، فهي للعصاة خاصة يشفع فيهم الأنبياء والصالحون والمؤمنون والملائكة، ويخرج الله من النار بشفاعتهم الجرم الغفير، ويبقى من أهل التوحيد في النار جماعة لا يحصيهم إلا الله ﷻ، فيخرجهم ﷻ بمحض رحمته جل وعلا، وهم آخر من يبقى في النار، ثم بعد ذلك تغلق على أهلها من الكفرة، فلا يخرج منها أحد بعد ذلك؛ نسأل الله العافية ولا حول ولا قوة إلا بالله*.

* س: إذا دعاني شخص للغداء، وفيه دجاج فرنسي، أكل منه أم أمتنع؟

ج: الأصل في الدجاج وغير الدجاج أنه لا يخلو من حالين:

النوع الأول: يكون من أهل الكتاب مما صدره أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهذا الأصل فيه الحل، إلا أن تعلم أنه ذبح على غير الشريعة بالخنق أو بالوقذ، فهذا لا يحل لك إذا عرفت أن هذه المجزرة وأن هذا الشخص ذبحه على غير الشريعة بالخنق أو بالوقذ أو غير ذلك. =

= النوع الثاني: ما يقع من الوثنيين والشيوعيين: يعني: غير أهل الكتاب، أي: الكفرة، فهؤلاء لا تحل ذبيحتهم عند جميع أهل العلم، فإذا عرفت ذبيحتهم فلا تحل عند جميع أهل العلم.

أما ما يوجد الآن ويزعم أنه ذبح على الطريقة الإسلامية؛ فهذا فيه نظر؛ لأنهم غير مأمونين، ولا يوثق بأخبارهم، ولأنه قد وجد ما يدل على كذبهم؛ فالأولى بالمؤمن وفي حقه ألا يتساهل في هذا، أي: ما يرد من الشيوعيين والوثنيين كاهند وكبلغاريا ورومانيا وما أشبه ذلك من البلاد الشيوعية؛ أما ما جاء من فرنسا أو إنجلترا أو الدنمارك فهذه بلاد نصرانية والأصل فيها الحل، فيأكل منها الشخص، وليس فيها شيء، ولا حرج - إن شاء الله - إلا أن يعلم أن هذا الشيء جاء من مجزرة معينة غير شرعية فيكون غير شرعي.

س: شيخ في هيئة كبار العلماء أفتى أنه لا حرج في الدجاج الأسترالي

المذبوح على الطريقة النصرانية؟

ج: الجامع - بارك الله فيك - قول الله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ

لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥]؛ فالجامع أن طعامهم حل لنا، والله أحل لنا الطيبات وأحل

لنا طعامهم؛ فهذا جامع، فإذا عرفت أنه محرم فادفعه، وإلا فالأصل الحل. =

= يشتبه علينا أخبار وأخرى.

لا شيء عليك كل الطيب ودع المشتبه.

س: المصانع الآن في أوروبا قد لا يكون بينها اختلاف؛ إنما التشابه موجود في كيفية الذبح، وهو على غير الطريقة التي لا تبيحها، هذا في جميع المصانع؟

ج: ما مررت بها ولا جئتها.

س: أخبرنا من مر بهم.

ج: كلا، قد أخبرنا بعد أن من مر بها أن منها من يذبح ذبحاً شرعياً، ومبعوثاً في دول كثيرة أخبرنا عن بعضها، أن بعضهم يذبح ذبحاً شرعياً، وغيرها لا يذبح ذبحاً شرعياً.

والقاعدة هي من عرف أن هذا الشيء محرماً فلا يأكله، ومن لم يعرف ذلك فالأصل التفصيل؛ فما كان من طعام أهل الكتاب، ومن ذبائح أهل الكتاب فالأصل فيه الحل حتى يعرف تحريمه، ومن كان من الشيوعيين وأشباههم فالأصل فيه التحريم، حتى يعرف أنه تولاه مسلم هذا هو الأصل، وإذا لم تعرف فالحمد لله، عندك اللحوم الأخرى تكتفي بها، وينبغي أن يحتاط الإنسان لنفسه ولا يجرم على الناس، والذي يحتاط لنفسه جزاه الله خيراً.

=

.....

= س: وصف النار يعني: المؤصدة هل المقصود به الإطباق؟

ج: يعني: تؤصد أبوابها، مثل ما قال الله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ۗ﴾ (٨) في عمدة ممددة ﴿المهزمة: ٨-٩﴾ نسأل الله العافية.

س: الذي يبيع الدجاج المشبوه هل كسبه فيه شبهة؟

ج: على كل حال فيه تفصيل الذي فيه شبهة والذي ليس فيه شبهة على حسب الحال.

س: نخشى أن نحرم شيئاً قد أحله الله، أو أن نأكل شيئاً قد اشتبه علينا فنقع في الإثم.

ج: الله يعافينا.

﴿ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاِلَىٰ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقوله: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٤].

وقوله: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم: ٢٦].

وقوله: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا نُنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أْذَنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك، أو قسط منه، أو =

= يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الربُّ كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعةُ التي يظنُّها المشركونَ هي منتفيةٌ يومَ القيامةِ كما نفاها القرآنُ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربِّه ويحمدهُ لا يبدأ بالشفاعةِ أولاً، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تُشفع^(١).

وقال له أبو هريرة: مَنْ أسعدُ الناسِ بشفاعتِكَ؟ قال: «مَنْ قال: لا إلهَ إلا اللهُ خالصاً مِنْ قلبِهِ»^(٢).

فتلك الشفاعةُ لأهلِ الإخلاصِ بإذنِ الله ولا تكون لمن أشركَ بالله^(٣). [٣]

[شرح ٣] يقول الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ =

(١) أخرجه البخاري: التفسير (٤٤٧٦)، ومسلم: الإيمان (١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري: العلم (٩٩).

(٣) ص ٢٧٥-٢٧٦.

= زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

بَيْنَ رَبِّكَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَيَانًا شَافِيًا فِي نَفْيِ كُلِّ مَا يَتَعَلَقُ بِالشَّرِكِ؛ فَإِنَّ الْمَشْرِكَ قَدْ يَتَعَلَقُ بِمَعْبُودِهِ بِسَبَبِ اعْتِقَادِهِ أَنَّهُ مَالِكٌ، أَوْ لَهُ قِسْطٌ مِنَ الْمَلِكِ، أَوْ عَوْنٌ لِمَالِكٍ، أَوْ شَفِيعٌ عِنْدَ الْمَالِكِ، هَذِهِ أَرْبَعَةٌ أُمُورٌ.

فَالْمَشْرِكُونَ قَدْ يَتَعَلَقُونَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلِبِهِمُ الشَّفَاعَةَ، أَوْ شَفَاءَ مَرْضَاهُمْ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ لِأَحَدِ أُمُورٍ أَرْبَعَةٍ؛ إِمَّا لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُ مَالِكٌ لِمَا يَطْلُبُ مِنْهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَعْطَاهُ هَذَا الشَّيْءَ وَجَعَلَهُ مَلِكًا لَهُ، أَوْ لِأَنَّهُ شَرِيكٌ، أَوْ لِأَنَّهُ عَوْنٌ لِلْمَالِكِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَهُ التَّصَرُّفُ، أَوْ أَنَّهُ شَفِيعٌ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَيُشْفَعُ مَطْلَقًا.

هَذِهِ الْأُمُورُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمَشْرِكُونَ عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِمْ وَطَبَقَاتِهِمْ نَفَاهَا اللَّهُ ﷻ نَفِيًّا مُرْتَبًا، حَتَّىٰ لَا تَبْقَىٰ لِلْمَشْرِكِينَ =

= علة ولا صلة بهذا الأمر الذي يتعلقون به وأشركوا بالله من أجله، قال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

(قل) يا محمد لهؤلاء (ادعوا)، وهذا أمر تهديد وأمر تقريع وتوبيخ، وأن هذه الدعوة لا تنفعهم بل تضرهم، (زعمتم) الزعم: الكذب، يعني: كذبتهم في أنهم شركاء لله جل وعلا.

ثم بين جل وعلا أن هؤلاء المدعوين لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض؛ لأنهم ليسوا مالكين لشيء من السماء ولا شيء من الأرض ولا شيء مما فيها، ولكنهم فقراء ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

يعني: غشاء النواة، بل الملك كله لله ﷻ، المخلوق وما ملك المخلوق، كله لله ﷻ، فأهل السماوات وأهل الأرض ومساكنهم وما في أيديهم كله ملك لله ﷻ، فهو الذي خلق وما من إله غيره ﷻ.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ معروف أن الذرة من أصغر المخلوقات وأحققر المخلوقات، والمعنى أنهم لا يملكون شيئاً ولو =

= مقدار الذر، ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾ لا شريك له في شيء من السماوات والأرض، فكلهم فقراء مربوبون مخلوقون مدبرون مصرفون.

﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾ هذا الثالث يعني: معاوناً يستقل بالعون والتصرف، بل جميعهم مخلوقون، ومربوبون، ومصرفون، فليس لهم ملك، ولا شرك، ولا مظاهرة ولا معاونة.

ثم بقيت الشفاعة التي يتعلق بها المشركون ويظنون أنها تحصل لهم من الملائكة والأنبياء ومن الصالحين مطلقاً، فقال بعده: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَدَبَ لَهُ﴾ وهذا الرابع، فالشفاعة لم ينفها مطلقاً، ولا يثبتها مطلقاً، بل نفاها بغير إذنه، وأثبتها بإذنه، كما في الآية الأخرى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً﴾ [الزمر: ٤٤] فهي ملك

له سبحانه، يعطيها من يشاء بإذنه جل وعلا، فهذا هو الحق في =

= الشفاعة أنها مملوكة لله يعطيها لمن يشاء وينفيها عمن يشاء، فلا يعطيها إلا لمن يرضى الله قوله وعمله خاصة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦] فهذه الشفاعة التي يتعلقون بها مقيدة غير مطلقة، فتعلقهم بالملائكة والأنبياء غلط منهم؛ لأن الملائكة لا يملكونها والأنبياء لا يملكونها، فضلاً عن غيرهم؛ فإذا كانت الملائكة والأنبياء لا يملكونها فالأفراد وبقية المخلوقين من باب أولى، فهي ملك لله ﷻ يعطيها من يشاء ويأذن فيها لمن يشاء ﷻ.

فالواجب على العاقل أن يأخذ بأسبابها ويطلبها من مالكها، فأسبابها طاعة الله واتباع شريعته، والمالك هو الله، فيطلبها منه فيقول: اللهم شفّع فيّ ملائكتك، اللهم شفّع فيّ أنبياءك، وما أشبه ذلك، فهو المالك ﷻ، أو تقول: اللهم لا تحرمنا شفاعة نبيك أو شفاعة عبادك الصالحين، فكل هذا حق.

أما أن يقول: يا رسول الله اشفع لي، بعد وفاته، أو يا ملائكة =

= الله، أو يا أولياء الله، أو ما أشبه ذلك - فهذا كله خطأ، وأما مع الحي فلا بأس، كأن يقول: يا فلان وهو حي حاضر قادر كما كان الصحابة في حياة النبي ﷺ يقولون: يا رسول الله اشفع لي في كذا، لا بأس في ذلك، فتقول: يا أخي اشفع لي، يعني ادع الله، اشفع لي عند الله في أن يغفر ذنبي، ادع الله لي أن يرحمني، ادع الله لي أن يشفيني من هذا المرض، ادع الله أن يردني إلى أهلي سالمًا.

فالمقصود أن الدعوات التي يطلبها من أخيه الحي الحاضر القادر لا بأس بها؛ لأنه طلب شيء يقدر عليه وهو حي حاضر، بخلاف الطلب من الأموات أو الجمادات كالأصنام، أو الغائبين كالجن والملائكة، فهذا كله شرك بالله ﷻ لا يجوز.

وإنما الجائز أن تطلب شيئاً من حي حاضر يقدر عليه، تقول: يا أخي أعني على كذا، يا أخي أقرضني كذا، يا أخي أعني على حرثي، يا أخي أعني على إصلاح بيتي أو إصلاح سيارتي، يا أخي ادع الله لي، فلا بأس بكل هذا، فهذا جائز من الحي الحاضر القادر. =

= وقال المؤلف بعد ذلك: (وقال أبو العباس) أبو العباس ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني المشهور بشيخ الإسلام ابن تيمية، يلقب بتقي الدين ويلقب بشيخ الإسلام، وهو كذلك، فإنه تقي الدين وهو شيخ الإسلام وسيف زمانه، فقد دعا إلى الله ونصر الحق وجاهد الشرك وأهله، وله مقامات عظيمة في جهاد الشرك وأهله، وفي نصر الحق بلسانه وقلمه رحمه الله.

وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وهو من الدعاة إلى الله ومن أفراد الحق فيهما جميعاً، عاش في آخر السابعة وفي أوائل الثامنة رحمه الله، وأعماله وجهاده ومؤلفاته أمر معلوم عند أهل العلم.

يقول رحمه الله: (نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون) يعني: في هذه الآية الكريمة (نفى أن يكون لغيره ملك) فهم لا يملكونه (أو قسط منه) وذلك قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ﴾ [سبأ: ٢٢] (أو يكون عوناً لله) وذلك في قوله: =

= ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وكما قال سبحانه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(وهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن) هي منتفية عنهم؛ لأنهم تعلقوا بها وطلبوها من الملائكة ومن الجن ومن الأنبياء، فهي منتفية عنهم كما نفاها القرآن ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣].

وكقوله سبحانه: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] وقوله سبحانه: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] في آيات نفاها الرب عنهم لأنهم يظنون أنها تحصل لهم بمجرد دعوتهم لغير الله، وهذا باطل.

فتلك الشفاعة لا تحصل إلا لمن أذن الله له ورضي قوله وعمله، فهي منفية عن المشركين بنص الكتاب العظيم ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ =

= شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿﴾ ، ﴿﴾ وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ ﴿﴾ .

هذا هو الحق في هذا الباب، ثم المأذون له والذي تقع له الشفاعة لا بد أن يكون مرضي القول والعمل، وهم أهل التوحيد كما قال سبحانه: ﴿﴾ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى ﴿﴾ فهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد، ولا يرضى الشرك، قال ﷺ: ﴿﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴿﴾ [الزمر: ٧].

ولما قال له أبو هريرة: من أسعد الناس بالشفاعة يا رسول الله؟ قال: «من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه»^(١).

فالشفاعة إنما تقع لأهل التوحيد وهم أهل لا إله إلا الله الذين يقولونها خالصاً من قلوبهم عن إيمان وعن تصديق وعن اعتقاد أن الله هو المعبود بالحق ﷻ، لا من يقولها بمجرد اللسان ولا يعرف معناها ولا يعتقد معناها، فهذا ليس من أهل التوحيد.

فإن أهل التوحيد الذين يقولونها، يقولون: لا إله إلا الله =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٩٩).

= خالصة من قلوبهم عن بينة وعن بصيرة، فيعرفون أنها تبطل عبادة غير الله، وأنها تدل على أن الله هو المعبود بحق ﷻ.

وهكذا قوله في الحديث الصحيح الآخر: «وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»^(١).

هذا الجزء من حديث أبي هريرة دل على أنه لا بد في المشفوع فيه أن يكون من أهل التوحيد، لا من أهل الشرك، أهل الشرك لا تنفعهم الشفاعة ولكنها خاصة بأهل التوحيد والإيمان، لا بأهل الشرك والنفاق نعوذ بالله من ذلك.

وبهذا تعلم أن ما يتعلق به المشركون في الدنيا في الشفاعة شيء باطل، وأن الواجب عليهم إخلاص العبادة لله وحده وسؤال الشفاعة من مالكتها، وهو الله سبحانه، لا من الناس، ولا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من غيرهم، بل تطلب من الله وحده =

(١) أخرجه البخاري: الدعوات (٦٣٠٤)، ومسلم: الإيمان (١٩٩).

= المالك لها، فيقول: اللهم شفّع في نبيك أو ملائكتك، ما أشبه ذلك، أو: اللهم لا تحرمني شفاعته نبيك عليه الصلاة والسلام، اللهم اجعلني من أهل شفاعته، وما أشبه هذا من الكلام الطيب.

أما أن يقول: يا رسول الله اشفع لي، أو يا عبد القادر اشفع لي أو يا فلان اشفع لي، أو يا ملائكة الله اشفعوا لي، أو يا معشر الجن اشفعوا لنا، فهذا كله من عمل أهل الشرك فلا يجوز*.

* س: في مجلة المجتمع الكويتي في آخر عدد أحد الكتاب أحل التصوير.

ج: قرأته وسوف نكتب عنه إن شاء الله.

س: ما الدليل على طلب الشفاعة: اللهم شفّع في نبيك اللهم شفّع في

أصحابه؟

ج: هذا دعاء شرعي ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:

٦٠] هذا من الدعاء الصالح، هذا دعاء شرعي.

❁ وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء مَنْ أذن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه^(١). [٤]

[شرح ٤] فقول المؤلف رحمه الله: (وحقيقته أن الله...) هذا من بقية كلام شيخ الإسلام^(٢).

قوله: (قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون). هو أبو العباس ابن تيمية رحمه الله كما تقدم، وهذا الكلام نقله من «اقتضاء الصراط المستقيم» لتقي الدين ابن تيمية رحمه الله^(٣).

(١) ص ٢٧٦.

(٢) انظر «تيسير العزيز الحميد» ص ١٩٠ - ط. دار ابن حزم، ١٤٢٤ هـ.

(٣) انظر «مجموعة الفتاوى» لابن تيمية (٧/٧٧-٧٨).

= وقوله: (وحقيقته) أي: نول الشفاعة.

وقوله: (أن الله سبحانه هو الذي تفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم) يعني: بسبب إخلاصهم وتوحيدهم (بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع) بواسطة دعاء الشافعين الذين شفَعوا له؛ كالنبي ﷺ، وكالملائكة، والأفراط، والمؤمنين.

(ليكرمه) أي: ليكرم هذا الشافع (وينال المقام المحمود) هذا في الشفاعة العظمى حين يشفع النبي ﷺ في أهل الموقف حتى يقضي الله بينهم كرامةً من الله له، وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله به، وكذلك يكرم الشافع في إخراج بعض الناس من النار ودخول الجنة، من مؤمن، أو ملك، فهذه كرامة من الله إذا قبلت شفاعتهم، وهكذا الأفراط من إكرام الله لهم أن يقبل شفاعتهم، لأنهم ماتوا على غير ذنب وليسوا متحملي ذنوب، فلهم شفاعة.

وقوله: (ما كان فيها شرك) «ما» هنا موصولة، فالشفاعة التي نفاها القرآن؛ فإن «ما» فيها نافية، وهي التي كان فيها شرك، فالشفاعة التي وجد فيها شرك وتعلق بها المشركون - هذه الشفاعة =

= منفية باطلة في قوله سبحانه ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] لأنهم أشركوا بالله - جل وعلا - كذلك قوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

هذه هي الشفاعة التي فيها شرك، ولذلك قال - رحمه الله: (فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك) يعني: هي التي كان فيها شرك، بأن دعوا المخلوقين واستغاثوا بهم ونذروا لهم، فهذه الشفاعة باطلة لأنهم طلبوها من غير الله، فهي من عبادة غير الله ﷻ.

أما الشفاعة التي أثبتها في عدة مواضع فهي التي تتعلق بإذنه ورضاه ﷻ وهي مذكورة في قوله جل وعلا: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]؛ فهذه الشفاعة الثابتة تكون بأمرين:

الأمر الأول: إذن الله للشافع.

= الأمر الثاني: رضاه عن المشفوع فيه.

= فإذا وقع الشرطان حصلت الشفاعة بإذن الله لمن أذن فيه ﷺ.

وقد أخبر النبي ﷺ في مواضع كثيرة بهذه الشفاعة، وسأله أبو هريرة عن ذلك فقال: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»^(١). وفي الحديث الصحيح الآخر: «هي نائلة من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»^(٢). فعلم بذلك أن الشفاعة لأهل التوحيد الذين لا يشركون بالله ﷻ.

وأهل التوحيد أقسام: منهم من يكون على غير معصية فمات في توبة صادقة وأعمال صالحة، فهذا من أهل الجنة من أول وهلة، ومن يشفع فيه لرفع الدرجات والمنازل، ومن أهل التوحيد من يموت على معاص فيستحق دخول النار، فيشفع فيه ألا يدخل النار، ومن يدخلها بمعاصيه، فيشفع فيه لإخراجه.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه يشفع عدة شفاعات - عليه الصلاة =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٩٩).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (١٩٩).

= والسلام - كما في الحديث أربع شفاعات، كلما شفع حَدَّ اللهُ له حَدًّا فيذهب فيخرجهم من النار بإذن الله ﷻ، ثم يشفع فيحد الله له حَدًّا، ثم يشفع ثالثة فيحد الله له حَدًّا، ثم يشفع رابعة فيحد الله له حَدًّا، يخرجهم من النار بتوحيدهم وإسلامهم^(١)، وإنما دخلوها بمعاصيهم، وقد حرم الله على النار أن تأكل آثار السجود من ابن آدم.

فالمقصود أن الله جل وعلا جعل علامات يعرف بها من يخرج من النار بالشفاعة، فإما أن يعرف الشافع ذلك، أو تعرفه الملائكة وتدله على ذلك، فهو يشفع في أناس معينين يخرجون من النار، ويشفع الآخرون في أناس معينين، كالملائكة والأنبياء والمؤمنين والأفراط، فالشفاعة أنواع، والشافعون أقسام وأصناف، وهي حق لا شك فيها، فهي ثابتة بالنصوص، لكن بالشرطين:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، سواء كان الشافع =

(١) انظر البخاري: تفسير القرآن (٤٤٧٦)، ومسلم: الإيمان (١٩٣).

= ملكاً أو نبياً أو مؤمناً من المؤمنين أو غير ذلك من الأفرات
ونحو ذلك.

الشرط الثاني: رضاه عن المشفوع فيه؛ لأن الكافر لا تقع له
شفاعة؛ لأن الله لا يرضى عمله كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ
الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

فالكافر لا شفاعة له، وما تنفعهم شفاعة الشافعين، وإنما تقع
لأهل التوحيد الذين رضي الله توحيدهم ورضي إيمانهم وكانت
عندهم سيئات ماتوا عليها فاستحقوا بها دخول النار، ثم أذن الله
بالشفاعة لهم، وأخرجوا من أجل ما معهم من التوحيد الذي رضي
الله به وأقره ودعا إليه ﷻ، والله جل وعلا أعلم*.

* س: هل للشفاعة حد؟

ج: الظاهر أنه ليس لها حد، يعني: خمسين، مئة، ألف، ألفين؛ والله

أعلم.